عنوان الخطبة [هَدْيُ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ فِي شَهْرِ الرَّحْمَةِ]

اَلْخُطْبَةُ الْأُولَى:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَبَعَثَ فِينَا سَيِّدَ الْخَلْقِ وَشَفِيعَ الْأَنَامِ، سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى السَّلَامِ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَعَلَى مَا أَكْرَمَنَا بِهِ مِنْ فَرِيضَةِ الصِّيَامِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اَلْمَبْعُوثُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، وَإِسْوَةً لِّلْمُتَّقِينَ، وَإِمَامًا لِلصَّابِرِينَ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى الْآلِ وَالْأَصْحَابِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ..فَأوصِيكُم وَنَفْسي بِتَقوى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ, كيف لا نَتَوَاصَى بالتَّقوى وما شُرِعَ الصِّيامُ إلاَّ لِتَحقِيقِهِ, أَلم يَقُلِ اللهُ تَعَالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْـمُؤْمِنُونَ

إِنَّ مِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الْـمُبَارَكَاتِ، اَلْحَدِيثَ عَنِ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ فِي شَهْرِ الرَّحَمَاتِ، وَعَمَّا يَخُصُّهُ بِهِ مِنْ مَزِيدِ الْعِنَايَةِ وَالِاهْتِمَامِ، وَمَا يُقَدِّمُهُ بَيْنَ يَدَيْ صَحَابَتِهِ الْكِرَامِ، مِنَ الْحَثِّ عَلَى حُسْنِ الِاغْتِنَامِ، بِالصِّيَامِ وَالْقِيَامِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَالتَّآزُرِ وَالتَّضَامُنِ وَالْعَطَاءِ وَسَائِرِ وُجُوهِ الرَّحْمَةِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ.

عِبَادَ اللَّهِ؛ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا حَلَّ شَهْرُ رَمَضَانَ، صَامَهُ مُحَافِظًا عَلَى آدَابِهِ وَسُنَنِهِ؛ مِنْ تَعْجِيلِ الْفُطُورِ وَتَأْخِيرِ السَّحُورِ، وَيَقُول ﷺ فِيمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: (تَسَحَّرُواْ فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً). وَإِذَا أَفْطَرَ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، كَمَا فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: (ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

وَكَانَ هَدْيُهُ – صَلَوَاتُ رَبِّي وَتَسْلِيمَاتُهُ عَلَيْهِ – فِي الْقِيَامِ، أَنَّهُ يَقُومُ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ اللَّيْلِ، وَيَحُثُّ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ، كَمَا رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي الْـمُوَطَّإِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَ بِعَزِيمَةٍ فَيَقُولُ: مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ). وَكَانَ ﷺ يَقُومُ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، كَمَا جَاءَ فِي مُسْلِمٍ عَنِ الْـمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا). فَيُعَلِّمُنِا ﷺ أَنَّ مَرْتَبَةَ الشُّكْرِ أَعْلَى مِنْ مَرْتَبَةِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

أَمَّا هَدْيُهُ ﷺ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ عَلَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَمَضَانَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَعَرَضَهُ عَلَيْهِ فِي الْعَامِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ مَرَّتَيْنِ، كَأَنَّهُ ﷺ يُسَابِقُ الزَّمَانَ بِكَسْبِ فَضَائِلِ الْأَعْمَالِ، كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرِضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْـمُرْسَلَةِ).

عِبَادَ اللَّهِ؛ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، يَتَجَلَّى الْهَدْيُ النَّبَوِيُّ فِي أُمُورٍ جَلِيلَةٍ وَعَظِيمَةٍ يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ لَهَا؛ وَهِيَ: الْقِيَامُ وَالصِّيَامُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَالْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ عَلَيْهِ خَارِجَ رَمَضَانَ، وَفِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ يُضَاعِفُ هَذَا الْجُهْدَ، فَيُحْيِي لَيْلَهُ وَيَشُدُّ مِئْزَرَهُ وَيُوقِظُ أَهْلَهُ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أُمِّ الْـمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ وَأَحْيَا لَيْلَهُ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ).

إِنَّنَا – مَعَاشِرَ الْـمُسْلِمِينَ -، وَنَحْنُ نَسْتَحْضِرُ هَدْيَ نَبِيِّنَا ﷺ فِي هَذَا الشَّهْرِ الفَضِيلِ، نَذْكُرُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.

أَلَا فَاتَّقُواْ اللَّهَ – عِبَادَ اللَّهِ -، وَتَأَسَّوْاْ بِنَبِيِّكُمْ ﷺ فِي اغْتِنَامِ فَضْلِ هَذَا الشَّهْرِ الْكَرِيمِ؛ بِالْإِخْلَاصِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، تَكُونُواْ مِنَ الْفَائِزِينَ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

اَلْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ:

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَلِيِّ الصَّالِحِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْـمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْـمُؤْمِنُونَ

لَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، كَمَا وَصَفَهُ بِذَلِكَ الْبَارِئُ جَلَّ وَعَلَا إِذْ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْمُبِينِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. وَتَتَجَلَّى هَذِهِ الرَّحْمَةُ أَكْثَرَ مَا تَتَجَلَّى فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، إِذْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ حَرِيصًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، يَحُضُّهُمْ عَلَى عَدَمِ الْغُلُوِّ فِي الدِّيْنِ، وَعَلَى الْأَخِذِ بِالْيُسْرِ، اِمْتِثَالًا لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ الْحَدِيثِ عَنْ رُخْصَةِ الْإِفْطَارِ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلى ما هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

كَمَا رَغَّبَ فِي تَفْطِيرِ الصَّائِمِينَ، وَبَيَّنَ أَجْرَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، وَفَرَضَ زَكَاةَ الْفِطْرِ تَكَافُلاً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَكْثَرَ ﷺ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي هَذَا الشَّهْرِ حَتَّى فَاقَ الرِّيحَ الْمُرْسَلَةَ، وَرَبَّى صَحَابَتَهُ عَلَى الْعَطَاءِ وَالتَّضَامُنِ وَالتَّكَافُلِ، وَبَيَّنَ ﷺ بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، أَنَّ شَهْرَ الصِّيَامِ هُوَ شَهْرُ عَمَلٍ بِامْتِيَازٍ، فَفِيهِ وَقَعَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى دِفَاعًا عَنْ أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَفُتِحَ مَكَّةَ لَمَّا نَقَضَ الْمُشْرِكُونَ الصُّلْحَ وَخَانُواْ عَهْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَمَعَ ﷺ فِي هَدْيِهِ بَيْنَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ تَعَالَى صِيَامًا وَقِيَامًا وَتِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ، وَبَيْنَ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ، حَيْثُ حَقَّقَ ﷺ التَّنْمِيَةَ الْحَقِيقِيَّةَ بِالتَّرْبِيَةِ عَلَى السُّلُوكِ الْحَسَنِ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ الصِّيَامُ، وَالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ وَالتَّكَافُلِ الِاجْتِمَاعِيِّ الْوَاسِعِ، وَجَعَلَ مِنْ نَفْسِهِ قُدْوَةً يَتَأَسَّى بِهِ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ الصَّادِقِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذَيْنِ هُمَا عُنْصُرا الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ الْمَنْشُودَةِ لِكُلِّ إِنْسَانٍ، وَالْمَوْعُودَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ.

عِبَادَ اللهِ؛ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنَ الْهَدْيِ النَّبَوِيِّ السَّنِـيِّ، نُدْرِكُ أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ الْمُبَارَكَ لَيْسَ مَوْسِمًا لِلْخُمُولِ وَالْكَسَلِ، وَلَا وَقْتًا لِلدَّعَةِ وَالْبِطَالَةِ، وَلَا فُرْصَةً لِلسَّهَرِ لَيْلاً وَالنَّوْمِ نَهَارًا، وَلَا مُنَاسَبَةً لِلْإِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ وَالْإِفْرَاطِ فِي إِشْبَاعِ الْغَرَائِزِ وَالشَّهَوَاتِ إِلَى حَدِّ التُّخْمَةِ، بَلْ هُوَ شَهْرُ اقْتِصَادٍ بِامْتِيَازٍ، تَسْمُو فِيهِ الرُّوحُ عَنِ الْمَلَذَّاتِ الْحِسِّيَّةِ إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ، وَهُوَ مَوْسِمٌ لِلْعَمَلِ بِكُلِّ أَبْعَادِ الْعَمَلِ؛ لَيْلُهُ قِيَامٌ، وَنَهَارُهُ صِيَامٌ، وَالْأَجْرُ فِيهِ مُضَاعَفٌ لِفَرَائِضِهِ وَنَوَافِلِهِ، فَطُوبَى لِمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَحَقَّقَ مَقَاصِدَهُ الْكُبْرَى مِنْ إِمْسَاكِ الْجَوَارِحِ عَنِ الْمَعَاصِي وَتَحْلِيَتِهَا بِالطَّاعَاتِ، فَاكْتَسَبَ بِذَلِكَ مَلَكَةَ التَّقْوَى الَّتِي هِيَ الثَّمَرَةُ الْغَالِيَةُ وَالْعَالِيَةُ لِلصِّيَامِ.

هَذا وَأَكْثِرُواْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَلَاذِ الْوَرَى فِي الْمَوْقِفِ الْعَظِيمِ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا تُحِبُّ رَبَّنَا وَتَرْضَى، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ بَاقِي الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَعَنِ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ وليَّ أمرنا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِهُدَاكَ، وَاجْعَلْ أَعْمَالَهُمَا الصَّالِحَةَ فِي رِضَاكَ، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً مُطْمَئِنًّا، سَخَاءً رَخَاءً، دَارَ عَدْلٍ وَإِيمَانٍ،وَسَائِرَ بِلَادِالْمُسْلِمِينَ، إِنَّكَ سَمِيعٌ مُجِيبُ الدَّعَوَاتِ، اِللَّهُمَّ وَارْحَمِ اللَّهُمَّ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَسَائِرَ مَوْتَانَا وَمَوْتَى الْمُسْلِمِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اَللَّهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَجَنِّبْنَا سَيِّئَهَا، فَإِنَّهُ لَا يُجَنِّبُ سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا صَلَاتَنَا وَصَدَقَاتِنَا وَصِيَامَنَا، وَسَائِرَ أَعْمَالِنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اَللَّهُمَّ مَا كَتبتَ في أَيامِ رَمَضَانَ وَلَياليهِ مِنْ صِحةٍ وَسَلاَمةٍ وَسِعةَ رزقٍ وَصَلاَحِ حالٍ ومَآلٍ فَاكْتُبْ لَنا مِنهُ أَوفَرَ الحَظِ وَالنَصيب ،اللهمَّ لاتَجْعلَ حَضَنا مِنْ صِيامِنا الجُوعَ والعَطَشَ ولامِن قِيامِنا السَهرَ والتْعبَ اَللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى طَاعَتِكَ، وَآتِنَا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، اَللَّهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَاتِنَا، وَأَعِنَّا وَآبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَبْنَاءَنَا وَجَمِيعَ أَهْلِنَا عَلَى حُسْنِ عِبَادَتِكَ، رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا، رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا، رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا، وَاغْفِرْ لَنَا، وَارْحَمْنَا، أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.